

رواية "لبيك أو حج الفقراء" لمالك بن نبي: قراءة تحت ظل أيديولوجية الرواية
The phenomenon of "Labbaik or the pilgrimage of the poor" For Malik bin Nabi: a reading under the shadow of the novel's ideology .*

عبد الرحمن حجو¹

Abd elrahman hadjou
 University center of tipaza

الملخص

عالجنا في هذا البحث ظاهرة الأيديولوجية في رواية "لبيك أو حج الفقراء" لمالك بن نبي، والهدف من ذلك إبراز أيديولوجية الكاتب المتحكمة والمضمرة في نصه، والنتائج المتوصل إليها ان أيديولوجية الكاتب

الإسلامية أو الدينية ظاهرة في جل الفقرات. فنص الرواية كاملة تتحكم فيه سنة التغيير في الكون، المتمثلة الية الكرمية: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"، وبالتالي تمكن البطل من تغيير نفسه وحالته بعدما غير ذاته .

الكلمات المفتاحية : أيديولوجية؛ رواية ؛ لبيك ؛ حج الفقراء .

Abstract :

In this research, we dealt with the phenomenon of ideology in the novel "Labbaik or the Pilgrimage of the Poor" by Malik bin Nabi, and the aim is to highlight the author's controlling ideology implicit in his text, and the results reached that the writer's Islamic or religious ideology is apparent in most of the paragraphs). The whole text of the novel is controlled by the year of

change in the universe, which is represented by the noble verse: "God does not change what is in a people until they change what is in themselves." Thus, the hero was able to change himself and his condition after he changed himself.

Keywords: ideology; a novel ; to pick you up; The pilgrimage of the poor.

مقدمة:

يعتبر المفكر مالك بن نبي ظاهرة في حد ذاته، نظرا لتميزه الفكري وقلمه البارز، فهو الكاتب الذي شغلته أفكار النهضة والحضارة والثقافة والتقدم والتخلف والتغيير، ومختلف قضايا العالم الثالث والإسلامي، ولذلك نرى أن هناك نسق من الأفكار يسيطر على أغلب كتاباته، بل حتى روايته: "لبيك أو حج الفقراء" لم تخرج عن ذلك النسق، وهذه الرواية هي من كتاباته الأولى، إذ لم يسبقها إلا كتاب: "الظاهرة القرآنية".

ومالك بن نبي ظاهرة في دراسته وتعلمه وكتاباته وأفكاره ومهنته وأعماله، ظاهرة في وجوده ومعيشته والمرحلة التي وُجد فيها أو قل التي ولد فيها ومات فيها، ظاهرة في سفره وتراحله وتنقلاته، واستقلاله أحيانا من بعض أعماله، ظاهرة أثناء حياته وصراعه الفكري ضد أيديولوجية الاستعمار ونزعاته، بل ظاهرة حتى بعد وفاته، نظرا لما تحمله كتاباته من وعاءٍ ثاقب بامتياز وتنبؤٍ باهر للمستقبل، وظاهرة باعتبار وجود أيديولوجية همشته ماديا

ومعنويا من جهة، ووجود في المقابل أيديولوجية مضادة احتكرت فكره و"نصبت نفسها لكي تتكلم باسمه" (بن بوعزيز، 2016)، ولا فهم إلا فهمها....

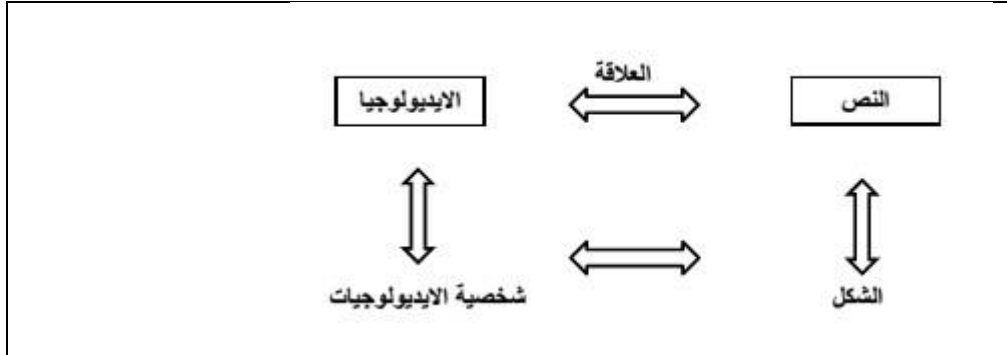
ووصفنا إياه بالظاهرة ليس من باب التقديس إلا من باب الواقعية والموضوعية وإحقاق الحق....، وما حف زنا على دراسة رواية "لييك أو حج الفقراء"، هو أن هذا العمل الروائي لم يترجم إلى العربية، إلا في السنوات الأخيرة وبعد وفاة صاحبها بمدة طويلة، عكس "الظاهرة القرائية" أو الكتب الأخرى، فقد ألف بن نبي كتاب "الظاهرة القرائية" سنة 1946، ثم كتب بعدها مباشرة رواية "لييك" سنة 1947 (مالك ب، 2012)، وكلا الكتابين جاء بال لغة الفرنسية، وهذا ليس عيباً أو نقصاً، بل كان ضرورة في تلك المرحلة، ضرورة تستدعيها أيديولوجية الاستعمار والكتابة المضادة أو ما اصطلح عليه في النقد الثقافي بمصطلح "الرد بالكتابة"، وإذا كان الكتاب الأول تُرجم إلى العربية سنة 1958، فإن الكتاب الثاني لم يترجم إلى العربية إلا سنة 2009 .

إذن، مع بن نبي صاحب النزعات الروحية/القرآنية (أخلاقية، إصلاحية، إنسانية،...) أكد نجد في عمله هذا طمساً وإخفاءً للمادية البرجوازية التي يمثلها الاستعمار في الغالب الأعم، وإظهاراً للمجتمع البسيط المتحدي لصعوبة العيش والحالم بالتغيير، فابن نبي ذو النزعة المحافظة الإصلاحية الدينية يُقدم تعهداً أيديولوجياً قوياً لوطنه وأمته من أجل التغيير والنهوض وبناء حضارة.

2- القراءة الأيديولوجية للرواية:

قراءتنا لرواية: "لبيك أو حج الفقراء" هي قراءة تحت ظل أيديولوجية الرواية، حيث اتكأنا على قراءات الناقد الانجليزي "تيري ايجلتون" من خلال كتابيه "النقد والأيديولوجية" و"كيف نقرأ الأدب؟"، وقد أخذنا مفهوم الأيديولوجية، كما قدمه ايجلتون متجاوزا لمفهوم الأيديولوجية كما جاء عند الماركسيين بأنها مجرد وعي زائف، ومعمقا لمفهوم التوسير لها بكونها "نسق" له منطقته ودقته الخاصتين (من التمثالات) من صور وأساطير وأفكار وتصورات حسب الأحوال (يتمتع، داخل مجتمع ما، بوجود ودور تاريخيين) (سبيلا، 2006)، فعند التوسير وتلميذه بيار ماشيري "الفن لا يعد من الأيديولوجيات وهو ليس معرفة

علمية، بل هو شيء بين بين، بين الأيديولوجية والمعرفة العلمية" (تيري، النقد والأيديولوجية، 1992)، فحسب ايجلتون يبدو التوسير وماشيري وكأ انهما يغيان إنقاذ النص وإعتاقه من عار الخضوع لما هو أيديولوجي صرف (تيري، النقد والأيديولوجية، 1992)، لهذا يعتبر صاحب كتاب النقد والأيديولوجية أن النص الأدبي ما هو إلا: "إنتاجا لحلٍ أيديولوجي أكثر من كونه انعكاسا لهذا الحل...، ومهمة "النقد هي أن يُظهر ويشرح كيف تُدفع الأيديولوجية" (تيري، النقد والأيديولوجية، 1992)، فالنص يحقق علاقته بالأيديولوجية عن طريق شكله، ولكنه يفعل ذلك بالاستناد إلى شخصية الأيديولوجيات التي يعمل عليها.



فإذا كانت مهمة الأديب الصمت والإخفاء والسكوت والإضمار، أو على أقصاى حد التلميح والإيماء والترميز والإشارة، فإن مهمة الناقد هي الاستنطاق والكشف والبوح بما ملح إليه الكاتب. هنا تندرج قراءتنا وتفسير، وكما هو معلوم قبل أن ندخل إلى نص الرواية ونشرع في القراءة، يجب أن نقدم تلخيصا خفيفا.

3- ملخص رواية "ليبك":

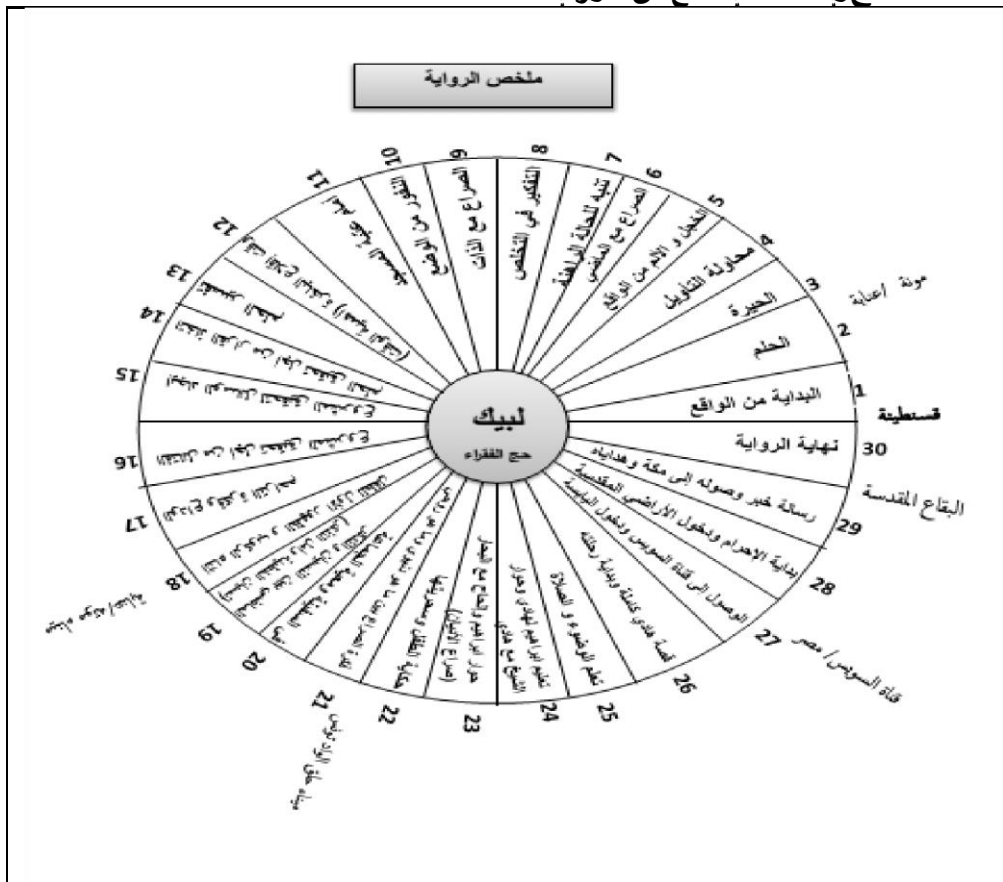
تحكي الرواية قصة شخصيتين رئيسيتين واقعتين من عنابة، الشخصية الأولى إبراهيم السكير الفحام الذي طلقته زوجته (زهرة) بعدما مات أبويه ورفضه المجتمع والجيران بسبب إدمانه على الخمر، ولكن فجأة ليلة مساء وهو مخمور يحلم يحلم يجعله حائراً ويحاول تأويله فيخجل ويتألم من واقعه المرير وبصارع ماضيه. ما يجعله يتنبه لحالته الراهنة ويفكر في التخلص منها، فعزم على التحول من "السلبية" إلى "الإيجابية"، من "بوقرة" إلى "الحاج إبراهيم"،

فصار ذاتة ونفر من وضعه، ووجد نفسه أمام عتبة المسجد يناجي ربه، ويدعو من قلبه: "يا رب اشفيني من شروري فأنا مريض، إهديني سواء سبيلك فإني ضال" (مالك، .
 لبيك أو حج الفقراء، 2012)، ومع الصدق والإخلاص يأتي الخير، فيسمع بخبر الحجاج ووقت إقلاعهم، فيفسر الحلم في ذهنه، ويسعى إلى تجسيده عمليا، وتحقيق المشروع يبدأ من توفير الوسائل وهيئتها، وأمام العواقب التفاؤل مهم جدا، ووراء الإخلاص التوفيق أكيد، وتبدأ الرحلة -رحلة الحج- فيودع الجيران وعلى رأسهم العم محمد، وزوجته العمة فاطمة، وصديقه في الخمر الذي أنفق عليه محل الفحم وتغنى له التوبة مثله، بل حتى زوجته/ زهرة المطلقة تسمع بالخبر، وتسرع لترسل له سبحة أمه وتودعه، والكل يطلب منه الدعاء. ووقت ركوب الباخرة من ميناء مونة/ عنابة

تظهر الشخصية الثانية الطفل هادي، وفجأة ما تختفي، وفي المركب يبدأ إبراهيم يصارع الماضي بين ال'نسيان والتذكر، صراع بين نسيان الخطيئة وأمل المستقبل، ولكن في السفينة يندمج الحاج إبراهيم بسرعة فتكثر حواراته، وبعد الوصول إلى ميناء حلق الواد/ تونس كييصعد حجاجها، تسرد قصة الرجل الذي لم يصعد، فتأثر الحجاج لذلك، وتعود حكاية الطفل هادي بسحريتها، فتعاقب بسبب تسللها إلى المركب، ويجاور إبراهيم البحار الفرنسي ي حول الدين، ثم تبدأ الرواية تحكي عن الهادي/ الطفل اليتيم المتشرد في مونة، ولكنها شخصية بريئة متهورة متحدية لأصحابها لذلك قررت وهي في الميناء الحج والسفر بطريقة غير

شرعية، فتسلل إلى الباخرة تواطاً مع شيخ حمل له أمتعته، وبعد عقابه حُلّت مشكلته، فاندمج بسرعة بخدمة الحاج، ثم اقترب من إبراهيم الذي كان يعرفه، وتبدأ المصاحبة والتعلم على شاكلة الشيخ والمريد، فيتعلم هذا الطفل الماسح للأحذية سابقاً، الوضوء والصلاة، وما يجب أن يفعله كي يحج هو أيضاً، وأخيراً تم الوصول إلى قناة السويس ورؤية اليابسة، فيبدأ الإحرام بمجرد الاقتراب من الأرض المقدسة، وهنا تنتهي الرواية مع إرسال إبراهيم رسالة خبر وصوله إلى مكة، وبعث هداياه إلى أهله بعنابة، ومع الإحرام يُحرم الكلام وتنتهي الرواية.

4- خريطة ذهنية تلخص الرواية:



5- أيديولوجية رواية: "لبيك أو حج الفقراء":

يصرح بن نبي مُنذ البداية بأن الشخصيتين الرئيسيتين في الرواية وهما بطلا القصة اللذان تدور حولهما الأحداث "الفحام/إبراهيم" والطفل/هادي أنهما في الحقيقتين شخصيتين واقعتين، إلا أنه لم يسعفه الحظ والوقت أن يتعرف عليهما أكثر (مالك أ.، لبيك أو حج الفقراء، 2012). ويصرح قائلاً: "الجانب الخيالي الوحيد، فيتمثل في الصلة التي وضعتها بين الأشخاص في المكان والزمان..." (مالك ب.، 2012)، كما أنه أدخل قصة واقعية في الأحداث، وهي مغامرة الحاج التونسي التي عرفها عن طريق الصحافة التونسية في ذلك الوقت، وهذه التصريحات جميعاً دلالة خفية على أن القصة دارت في رأس بن نبي كثيراً، أو على الأقل أنه سمعها وأراد استرجاعها من جديد، وبالتالي هذا العمل تتحكم فيه "أيديولوجية الواقعي مع أيديولوجية الخيالي" (تيزي، النقد والأيديولوجية، 1992)، وهذا شأن كل عمل روائي عظيم.

والأرواية التي بين أيدينا تحمل أيديولوجية واضحة صريحة من صاحبها، تتجلى لنا في أيديولوجية العنوان والبنية النحوية لعبارة "لبيك" المتناص مع دعاء التلبية المعروف "لبيك اللهم لبيك"، فهي تبين للقارئ الأجنبي أجواء الحج في الإسلام (أشكروفت، 2006)، ولكن العمل ككل تتخلله أيديولوجية مهيمنة نابعة من أفكار مالك بن نبي وفلسفته، وهي ضرورة التغيير، وفي الغالب والأخص هذه الأيديولوجية الأخيرة موجهة للأمة العربية/الإسلامية خاصة، وعلى ضوء تلك الأفكار تندرج إشكاليتنا، فهل الروح الأدبية

المبثوثة في الرواية وأحداثها وشخصياتها قريبة من الروح الفلسفية/الفكرية التي تميز بها صاحبنا؟ أو بتعبير آخر هل الفلسفة تسكن الأدب؟ أي هل تسكن فلسفة بن نبي عمله الإبداعي؟ أو بم يفكر هذا العمل الروائي؟.....

5-1 أيديولوجية الراوي:

نلاحظ أن بنية سردية الراوي مهيمنة في النص، فهو المتحكم في سرد الأحداث وتوزيعها على شخصيات الرواية، ونجد أغلب الأيديولوجيات مرتبطة بهذه الأيديولوجية وتعود أساسا للراوي ومن أهم هذه الأيديولوجيات نذكر:

5-2 أيديولوجية التناص:

نستنتج أيديولوجية التناص في عدة نصوص وخطابات ع'دة، كتعاقب فريضة الحج (مالك ١، لبيك أو حج الفقراء، 2012)، رحلة الشتاء والصي ف، فقد يحج الأب شتاء ويحج الابن صيفا أو العكس، وتعاقب هذا الشهر، والنص متداخل في تناص مع القرآن الكريم في سورة قريش مثلاً وسورة الحج. وكذلك عبارة: "واد غير ذي زرع" مع الآية الكريم (مالك ١، لبيك أو حج الفقراء، 2012).

فالنص تتحكم فيه أفكار دينية، هذا نظراً لطبيعة الموضوع المطروح، فالنص يسرد قصة بطل قارر أن يتوب، وعزم على أداء فريضة الحج الإسلامية، ولذلك فجّل العبارات التي

ضمنها النص، سواء أظهرها أو كانت مضرة فمنبعها من الدين الإسلام اي، كالقرآن والحديث النبوي، والأدعية والابتهالات والأذكار، وحتى النقاشات حول بعض القضايا الفقهية المتعلقة بفريضة الحج، واختلافات المذاهب والآراء الفكرية في ذلك. فقد طرح الكاتب كي يضفي نوع من الحوار والنقاش بين الشخصيات من جهة، وكي يبين سماحة الإسلام ورحابته وحسنه في توسيع الأمور على الإنسان وعدم التضيق عليه، وإن كان هناك اختلاف، فهو اختلاف رحمة وتنوع وإتلاف. والأمثلة كثيرة في نص الرواية، لعل أهمها اختلاف أهل المغرب عن أهل المشرق في بعض الجزئيات الفقهية المتعلقة بفريضة الحج، ولكن الشاهد اتفاقهم في الغرض والغاية والكليات .

3-5 أيدولوجية الزمن (باختين، 1986):

الرحلة كانت بداية شهر أبريل، أي وسط الربيع، زمن التغيير ونسماته، وهو رمز لفتح حقبة جديدة في الثقافة العربية وازدهارها. فاختيار هذه الفترة هو من باب ربط النص بنسق من الأفكار، ورؤية مهيمنة تتحكم في مختلف تقنيات السرد وجمالياته الفنية والفكرية، وتعالقها مع بعض، فشهر أبريل هو ضمن فصل الربيع، حيث الانفتاح والنضوج والازدهار والرائحة الطيبة، والنسمات الهادئة، والجو المعتدل، كل ذلك ينسجم مع شخصية البطل "الحاج ابراهيم" الذي ق ارر تغيير حالته، وجعلها طيبة نقية فواحة زكية .

4-5 أيديولوجية المكان:

بداية الرحلة من قسنطينة صباحا نحو عنابة حيث تم الوصول مساء، فقسنطينة مع بن نبي لها دلالات كثيرة، فهي مسقط رأسه، وبداية رحلة تعلمه، ولعل أول رحلة قام بها هو كانت في القطار من قسنطينة إلى عنابة، وهذه الأخيرة أول محطة لاستقبال الحجاج الوافدين بالقطارات، وهنا نجد إشارة إلى المجتمع التراحي في المجتمعات البسيطة "كثير من الحجيج تستضيفهم عائلات المدينة" (مالك أ.، لبيك أو حج الفقراء، 2012).

5-5 أيديولوجية دلالية:

تكمن في انسجام الرواية، بحكم تسلسل أحداثها، والربط منطقيا بين شخصياتها، وتناسق التخيل بين الاستباق والاسترجاع، رغم أن الرواية كتبت بسرعة وبين سافرتين في غرفة الفندق (مالك أ.، لبيك أو حج الفقراء، 2012).

6- أيديولوجية الشخصيات ورمزيتها:

1-6 أيديولوجية الشخصيتين الرئيسيتين:

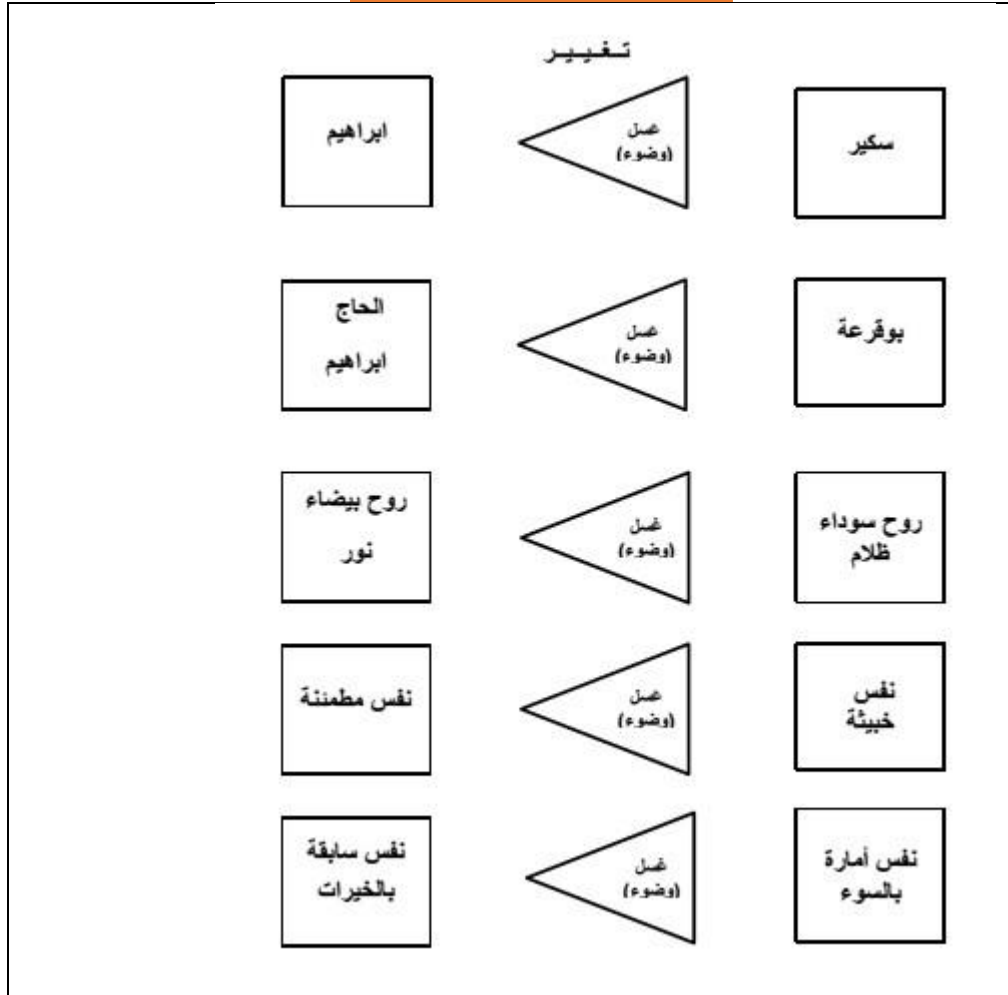
1-1-6 الشخصية الأولى "إبراهيم":

رمز في البداية للمجتمع الجزائري الذي أنهكه الاستعمار، وغير عاداته، وجعله غارقاً في الملذات والشهوات والماديات والرذيلة، وهي ملخصة في رمزية "بوقرعة"، أي صاحب قارورة النبيذ، والملازم لهذه القارورة/القرعة حتى أضحت كنية له وكنية عليه، وقناع يحجب الشخصية الحقيقية، وهنا تطفو أيديولوجية السخرية، ما زاد الرواية وتشويقاً، وأكسبها انزياحا

هائلا، جعل القارئ يستمتع، ويعيش لذة القراءة، وأخيرا "إبراهيم" هنا رمز للروح السوداء على حد تعبير بن نبي (مالك ا.، لبيك أو حج الفقراء، 2012)، ودلالة على النفس الأمانة بالسوء.

و"إبراهيم" في ال 'نهاية ومع التغيير الذي حصل أصبح يمثل ذلك المجتمع الذي استيقظ من حلمه، وانتفض لواقعه، وقرر بناء نفسه وتغييرها، فاستبدل المادة بالروح، وغ-ير الظلام إلى نور، وهذا ملخص في رمزية "الحاج إبراهيم"، فإبراهيم رمز للأب الروحي الأول للإسلام، وباني الكعبة، واختار اسم "إبراهيم" لا "محمد" أو "إسماعيل"، كدلالة خفية لجمع الأنبياء والذرية المتبقية في "أب" واحد، ذرية "إسحاق" و"إسماعيل" يجمعها أب واحد هو "إبراهيم"، فحضارة مثل هذه، حضارة شاملة لا جزئية، كلية لا اختزالية، عكس الحضارة الغربية تماما.

وإبراهيم رمز للإخلاص العائلي والفكري والروحي، "حيث ترك إبراهيم ذريته لكي يعبدوا الله" (مالك ا.، لبيك أو حج الفقراء، 2012)، فإبراهيم رمز في ال 'نهاية إلى المسلم الذي يسعى إلى التغيير، تغيير ينبع من الذات، من ال 'نفس، تحت ظل أيديولوجية تناص مهيمنة في فكر مالك بن نبي "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (الرعد)، والحاج إبراهيم في نهاية النهاية شخصية سابقة بالخيرات، شخصية روحها بيضاء، ونموذج لل 'نفس المطمئنة، معلمة ومربية لشخصية ثانية مهمة .



2-1-6 الشخصية الثانية "هادي":

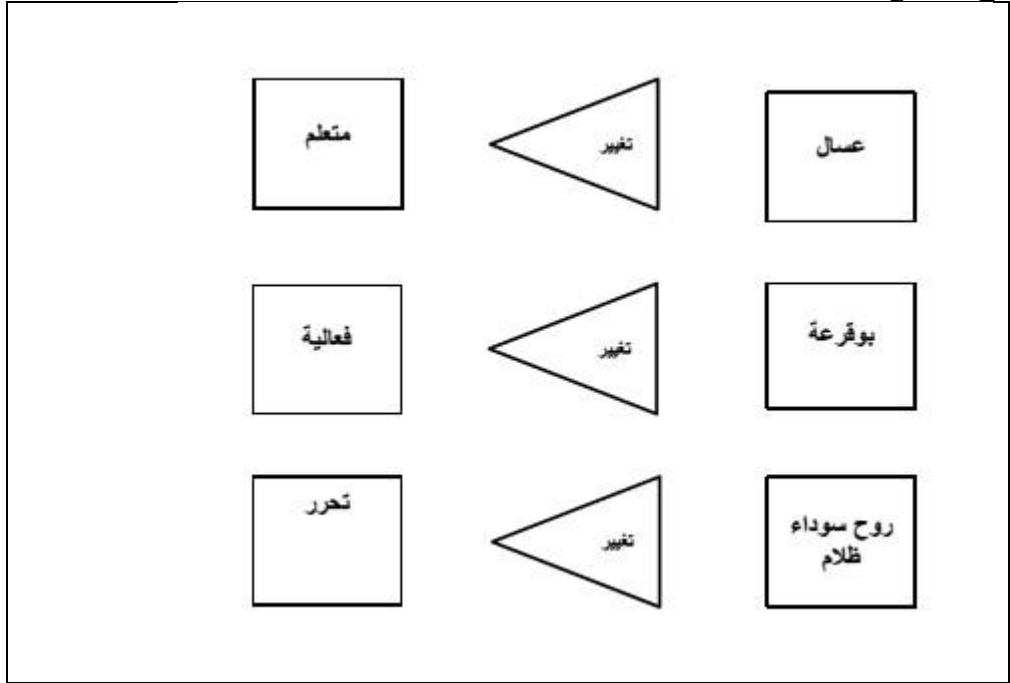
على غرار شخصية إبراهيم كبيرة السن نوعا ما، فمن الأطفال الشباب اختار شخصية "هادي"، واختاره شابا لأنه يعلم أن الشباب رأس مال الأمة، وروحها ال نابض، فإذا اهتدى اهتدت معه الأمة والأجيال القادمة، وإذا تغيّر تغيّر من حوله، فرمزية "هادي" في

البداية، رمزٌ للأجيال والأطفال التي تعاني من وضع أهلها ومجتمعها الرهيب، سواء بسبب وفاة أبويه وعدم وجود كفالة ترعاه، أو بسبب استغلال البرجوازية له، إذ وجد نفسه عتًّ الا وماسح أحذية، ومتشردا في الشوارع والطرق، فهي هنا شخصية نائهة هائمة غارقة في كسب لقمة عيشها، فهي تصارع من أجل البقاء، وهذه الشخصية هي التي تستغل من طرف البرجوازية والاستعمار والحضارة المادية عموما كي تخدمها، فما وجد "هادي" إلا مهنة عتًّ ال أو ماسح أحذية، هذا النوع من المهن التي فرضها ذلك الزمن، وفرضها بالدرجة الأولى الاستعمار كي يطمأطي رؤوس شبابنا منذ نعومة أظافرهم، كي يتعود على هذه الوضعية ويشب عليها، ويحترّم ساداته وأصحاب المنّة عليه، وذوي الأرجل والأحذية البرجوازية المادية.

ولكنه في النهاية، وفي مجرد غفلة، وريح تغيير هبت هبّ معها، لأنها شخصية متهورة متحدية بريئة، تحتاج من يقوم عليها، يأخذ بيدها، ويعلمها ويربيها، تحتاج إلى رعاية وعناية وبناء، وكذلك أضحت رمزيتها في النهاية تتعلم وتترى، وتنشأ على يد الشخصية الأولى "الحاج إبراهيم"، تعيش معها لحظة تنويرية، فأدرك الشباب طريقه، ونحّض واستيقظ من غلته وغفوته، وأدرك طريقه، طريق الحرية والنهضة والإيمان.

وما هنا إلا فكرة من أفكار بن نبي، في الثابتة، أنه من شروط النهضة توعية الشباب وبناءه وإنشائه النشأة الصحيحة، وعدم التفريط فيه، فهو منبع الأمة الصافي وأملها الوحيد، و"هادي" ببساطة أو بالروح الأدبية اسم مشتق من الهداية، فهو رمز لجلب السعد "هادي

ج (لُبُّ سَعْدٌ) (مالك أ.، لبيك أو حج الفقراء، 2012)



ونستطيع القول أن كلا الشخصيتين نموذج للتغير، من غرق واختناق في عالم الأشياء والأشخاص إلى غوص وإبحار في عالم الأفكار.

2-6 أيديولوجية الشخصيات الأخرى:

1-2-6 شخصية العم محمد:

جاء في نص الرواية عبارة: آسف عمي محمد (مالك أ.، لبيك أو حج الفقراء،

2012)، صحيح أن "محمد" يمثل الأصالة المتجذرة في الأمة العربية/الإسلامية على حد

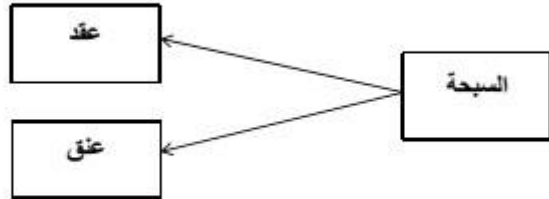
تعبير المترجم، فهو بمثابة الأب الروحي، فالعم هو بمثابة الأب، أو قل هو الأب الثاني، خاصة بعد وفاة الأب، وهذه الشخصية وظفت تحت أيديولوجية النصح والتوجيه، والحفاظة للأمل، شخصية حكيمة....

6-2-2 العمة فاطمة:

زوجة العم محمد، وهما معا بمثابة الأبوين لإبراهيم، و"فاطمة" اسم عربيّ شهير، يعود إلى فاطمة الزهراء في الثقافة الإسلامية، ومثلت الشخصية العظوفة الحنونة الآمنة...

6-2-3 زهرة:

كان حضور "زهرة" في نص الرواية غالبا عن طريق التخيل، وهي في الغالب رمزٌ لزهرة الحياة الدنيا، فالمرأة/الزوجة هي زهرة في هذه الحياة الدنيا، ربحها طيب حتى مع أعدائها، ف"زهرة" من البداية إلى النهاية طيبة ووفية ومطبعة لزوجها، ورمز للمرأة الجزائرية التي تعرف حق المعرفة بأن مصيرها مرهون بيد زوجها، فرغ طلاقها ضلت تسبح وتدعو له بالهداية والتوبة، ف"زهرة" دائما تفوح على زوجها بريح طيب، كما أن هناك فكرة مهمة من أفكار فيلسوفنا لا يمكن السكوت عنها، وهي أن للمرأة دور مهم في التغيير حتى وإن كان أمرها متجسد في بيتها وصلاتها ودعائها، وفي نفس الوقت إشارة خفية ومسكوت عنها في



الرواية، وفجوة يجب ملؤها، وهي أن هذه المرأة يجب أن تعاشر بالمعروف، ولا يجب احتقارها أو إهانتها.

4-2-6 السبحة:

في نص الرواية جاء الحضور المفاجئ لـ "زهرة" عن طريق رمزية أيديولوجية وهي "السبحة" التي كانت تحتفظ بها، فأرسلتها مع "العمة فاطمة" بعد علمها بحج إبراهيم وتوبته وتغي ره، وهذه السبحة تعود إلى أمه، فالسبحة تدور بين ثلاثة شخصيات (الأم المرحومة/المتوفية،

الزوجة زهرة، العمة فاطمة)، ونحن نعلم أن أهم ما في السبحة العقد/الحبل الذي يربط بين حباتها، فكأنها إشارة خفية ولافتة إلى ضرورة صون هذه الحبات/اللؤلؤات (الفريدة، الـزبر جدة، الجمانة، المـرجانة، اليافوطة، الجوهرة، الزمردة، الدرة، اليتيمة، العسجدة، المجنية، الواسطة... ()مالك ا.، لبيك أو حج الفقراء، 2012).

6-2-5 السفينة:

الباخرة/السفينة رمز من قريب أو بعيد إلى سفينة نوح، من ركبها نجت نفسه، وابتعدت عن عالم متوحش مظلم، وما يدل على ذلك الرمز أيديولوجية التناص: "بدا الصوت وكأنه يخرج من أحد نوافذ السفينة الموجودة أسفل السطح مكان استماع الحجاج، كان الصوت يرتل آيات من سورة نوح" ... (مالك ا.، لبيك أو حج الفقراء، 2012)، ولولا الوقت لرجعنا إلى سور القرآن الكريم وآياته ووضحنا هذه الأيديولوجية والرمزية.

. خاتمة:

من كل ما سبق نستطيع أن نلخص ثقافة بن نبي من خلال روايته، ونستنتج الأيديولوجيات التالية:

- أيديولوجية دينية أو قل: "هوية إسلامية" تهيمن على العمل الروائي ومثله وشكله.

- وعيٌ فلسفي بفريضة الحج، وعلاقة ذلك بالتاريخ/التراث المقدس وحجاج شمال افريقية خاصة.

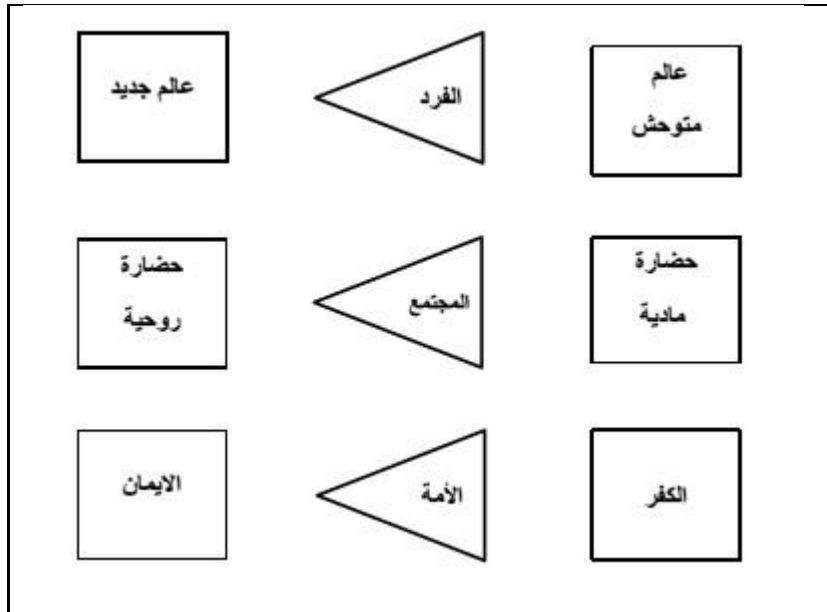
- أيديولوجية معرفية الواقع والمجتمع بامتياز.

- أيديولوجية واعية بالفضاء الزماني والمكاني في تلك الحقبة التاريخية.

- أيديولوجية واعية بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري في تلك الفترة.

وأخيرا فإذا كان كتاب (الظاهرة القرآنية): "أول إنجاز علمي وأدبي مُقاوِمٌ للاستعمار، ومؤسس لمفهوم البداية في أفق النهاية" (مالك ا.، الظاهرة القرآنية، 2000)، وقد ذكر بن نبي هذه الجملة في شهادته (شاهد القرن)، فإن رواية لبيك استمرار لذلك النوع من الكتابة، فرواية "لبيك" (خطاب جديد لرؤية المسلم في مساحة الإنسانية)، والرواية عموما خطاب نموذجي للهوية الإسلامية بمثابة رحلة فرار من معطيات الحضارة المادية الغربية، ومخلفاتها وعواقبها إلى الله وبيته وقرآنه ورسالة نبيه، فهي انتقال من الحضارة المادية إلى الحضارة الروحية، فالصراع صراع نماذج، صراع أيديولوجيات، أيديولوجية المادة التي يمثلها الاستعمار، والحضارة الأوروبية وتداعياتها البرجوازية، وأيديولوجية الروح، التي يمثلها الفرد والمجتمع والأمة البسيطة المتعلقة بـ"لبيك اللهم لبيك"، رحلة فكر يتغير من عالم الأشياء والأشخاص إلى عالم الأفكار، والمشكلة الحقيقية في هذا الصراع هي مشكلة أفكار. وهكذا سكنت هذه الروح الفكرية التي ميزت فلسفة بن نبي العمل الأدبي، فكل أديب/روائي يعبر في سرده عن أفكاره

التي تشغله أو هو غارق فيها ويحلم بها. وفي الحقيقة البحث يحتاج إلى تعمق أكثر، ولكن حجم المقال اقتضى من الاختصار، عسى يوماً ما نُعمق عملنا أكثر ونوسعه من خلال كتب بن نبي الأخرى الفكرية والأدبية.



قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

- ابن نبي مالك). 2000. (الظاهرة القرآنية. سوريا: دار الفكر.
 ابن نبي مالك). 2012. (ليبك أو حج الفقراء. الجزائر: دار الوعي.

- ابن نبي مالك). 2012. (ليبك أو حج الفقراء. الجزائر: دار الوعي.
- ايجلتون تيري). 1992. (النقد والأيدولوجية. (فخري صالح، المترجمون) عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ايجلتون تيري). 1992. (النقد والأيدولوجية. عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ايجلتون تيري). 1992. (النقد والأيدولوجية. عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- بن نبي، مالك). 2012. (ليبك أو حج الفقراء. الجزائر: دار الوعي.
- بيل أشكروفت). 2006. (الرد بالكتابة: النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة). (شهرت العالم، المترجمون) لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- سورة الرعد. (بلا تاريخ). 11 .
- عبد السلام بن عبد العالي ومحمد سيلا). 2006. (الأيدولوجيا. المغرب: دار توبقال.
- ميخائيل باختين). 1986. (الماركسية وفلسفة اللغة. 23. (محمد البكري ومعنى العيد، المترجمون) المغرب: دار توبقال.
- وحيد بن بوعزيز). 2016. (البنائية قراءة ما بعد كولونيالية: براديجم الهوية مقابل براديجم الهجنة. مؤمنون بلا حدود .

